

الجامعة المستنصرية  
كلية التربية  
قسم اللغة العربية

## صورة الآخر في أدب الخوارج صراعهم مع الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مثلاً

أ.م.د. عباس عبيد الساعدي

.....

## ملخص البحث

مثل الآخر مشكلة في الرؤية الثقافية العربية لاسيما عند التأصيل على الرغم من الموقف الحضاري للقرآن الذي شدد في كثير من سوره على ضرورة الالتقاء بالآخر ومحاورته ، بل ومشاورته والنزول عند رأيه إذا كان راجحاً قوياً ، فإذا كانت الدعوة القرآنية على هذا النحو لما وجدنا هذه القطيعة والنظرة العدائية للآخر والتي تبلورت على يد فرقة إسلامية لها أثر كبير فيما آلت إليه حضارة الدولة الإسلامية ، وما صار هذا الكره الذي استوطن الروح الخارجية اتجاه الآخر شيعياً كان أو أموياً أو عباسياً ، ياترى هل هي قيم البداوة والقبلية التي تأصلت في نفوسهم أم عقدة الحكم وما آلت إليه بعد التحكيم ؟ أسئلة كثيرة لأشك في أنّ النص الخارجي بعد استنباطه سيجيب عن كثير منها .

إن مواجهة الآخر كانت وستظل ديدن الاختلاف والمهم في الأمر أنهم حينما واجهوا الآخر ظلوا مصرين على الاكتراث به لكنهم لم يحاولوا في الوقت نفسه التعرف عليه وتفهمه بدلاً من ذلك الصراع المرّ الذي دار على امتداد التاريخ الإسلامي ، والتهم أمما في حروب طاحنة ونيران مستعرة ، وثورات لا تخمد أحقادها وضغائنهما.

إنّ الثبات الفكري الذي قام عليه فكر الخوارج الاعتقادي والذي انعكس على أدبهم ؛ يُعدّ مفصلاً مهماً في ثقافتهم التي اتكأت على الأصول ، فشكل انشقاقهم مرحلة حاسمة في الصراع بين الثبات والتحول ، فكانت هزيمة الرؤية التي ترى الانفتاح على الثقافات الأخرى وعدم الانغلاق على رؤية واحدة إيذاناً بانتهاء ثقافة التعدد وبروز الوجه الآخر المعادي لكلّ ما لا يتفق ورؤيتهم ، فعدم استيعاب الخوارج للجوهر الحقيقي للرسالة الإسلامية وتمسكهم بسطحية النص على وفق رؤية ضيقة جداً وضعتهم في زاوية الجهل بالدين والتبجيل الأعمى له ، وأحياناً الشطط أو التعسف في الفهم والتأويل .

يتضح من خلال النصوص التي سنقف عندها عمق الصراع الثقافي بين الرؤى المختلفة الاتجاه حداً وصلت فيه إلى الاحتراب بالسيف فكان النص الخارجي ديدن البحث في الوقوف على تلك الرؤى لاستبانة صورة الآخر في ثقافتهم التي هي جزء من الثقافة العربية القديمة .

د. عباس عبيد الساعديّ

## Abstract Search

Kharijites Download false image of the other characterized filtering, due to cultural differences and the difficulty of understanding the other, has been shown through their texts depth cultural conflict between visions contrary direction end I arrived in strife sword was text external didn't Search stand on those visions to identify image of the other In their culture, which is part of the ancient Arab culture, but with a modern vision.

Feet Kharijites poetry valuable Inman narrow vision of the last affected to see them political and struggle for access to power has to provide them with belief came hair image of intolerance and narrow-mindedness, shares the political conflict after the arbitration to take estrangement range between Imam Ali and the Kharijites, came Bureau Kharijites poetic to express in drawing a negative image of the other have noted over the sufferings poet external image building that is safe in the characterization of the other, has surrendered poet outside of those negative image espoused belief built image of the other according to the satisfaction of himself and who believes in his vision of here right Birdie of outsiders and prepares them his idol The highlighted by every effort at the same time we see strips Muslim other than what he claimed outsiders, as well as we did not glimpse a positive image in the poetry of outsiders toward their enemies, but was most photographs in maximizing heritage of refusing to another and walk vigorously behind it, represents an anchor bad for understanding the evolution of life , and injustice heritage himself at the same time, has walked in the limbs outer nervous, and covered manifestations of belonging lumpy and yelling for him, but it manifested blatant taken Mari governance and receiving a like others of students governance and wealth and money broadband, Photo Kharijites other as Nakt to Asalamath uncommitted and their evidence on their adherence to Pflm Islamic they see from their corner narrow or because of their ignorance of the dimensions of the Quranic text, note from their texts intensity insistence on separation from the other and fight and kaafir did not turn to other ways of appeasement and still insisted on what they see they represent purity Islamic, and that others Eyal it , the other one in their synonymous with difference and hostility.

## صورة الآخر في شعر الخوارج

### مقدمة

يأتي بحثنا محاولة لكشف ثقافة التعصب للرؤية الواحدة ومصادرة الرأي الآخر ويسعى في الوقت نفسه إلى أن يكون دعوة لمفاتيحة تأخذ مداها من التراث الأدبي العربي القديم لاحترام الآخر حينما نقف ناقدين لذلك التراث المجيد ولا نقدر تلك الرؤى على أنها مسلمات لايجوز التعرض لها أو مناقشتها وإبداء الرأي بصددها . إن مفهوم الآخر في ثقافة الخوارج يتجلى في كل صورة لا تتوافق مع أهوائهم ولم ينظروا إلى الآخر على أنه " الكائن المختلف عن الذات وهو مفهوم نسبي ومتحرك ، ذلك أن الآخر لا يتحدد إلا بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات ، وهذه النقطة المركزية ليست ثابتة بصورة مطلقة ، فقد يتحدد الآخر بالقياس إلي كفراد أو جماعة معينة " (١) ، لاسيما ونحن نضع صورتهم ضمن أفق زمني داخل البيئة العربية الإسلامية، لأنه يمثل الانتماء نفسه إلا أن القطيعة التي حدثت بينهم وبين الآخر الذي رفض مفهوماتهم التي سعوا للتبشير بها وكانت غرضهم الأساس والصراع على كل الجبهات ولم يسعوا للانفتاح على الآخر ومعرفة رؤيته بل خاضوا غمار المواجهة ، فحمل الخوارج صورة خاطئة عن الآخر تتصف بالامتهان والبغض بما تؤدي إلى تصفيته ولعل مرد ذلك ناشئ عن اختلاف الثقافات وعدم تقبلهم لفهم الآخر.

مثل الآخر مشكلة في الرؤية الثقافية العربية لاسيما عند التأصيل على الرغم من الموقف الحضاري للقرآن الذي شدد في كثير من سوره على ضرورة الالتقاء بالآخر ومحاورته ، بل ومشاورته والنزول عند رأيه إذا كان راجحاً قوياً ، فإذا كانت الدعوة القرآنية على هذا النحو لما وجدنا هذه القطيعة والنظرة العدائية للآخر والتي تبلورت على يد فرقة إسلامية لها أثر كبير فيما آلت إليه حضارة الدولة الإسلامية ، و لما صار هذا الكره الذي استوطن الروح الخارجية اتجاه الآخر شيعياً كان أو أموياً أو عباسياً ، ياترى هل هي قيم البداوة والقبلية التي تأصلت في نفوسهم أم عقدة الحكم وما آلت إليه بعد التحكيم ؟ أسئلة كثيرة لاشك في أن النص الخارجي بعد استنباطه سيجيب عن كثير منها .

إن مواجهة الآخر كانت وستظل ديدن الاختلاف والمهم في الأمر أنهم حينما واجهوا الآخر ظلوا مصرين على الاكتراث به لكنهم لم يحاولوا في الوقت نفسه التعرف عليه وتفهمه بدلاً من ذلك الصراع المر الذي دار على امتداد التاريخ الإسلامي ، والتهم أمما في حروب طاحنة ونيران مستعرة ، وثرات لا تخمد أحقادها وضغائنها.

إن الثبات الفكري الذي قام عليه فكر الخوارج الاعتقادي والذي انعكس على أدبهم ؛ يُعدُّ مفصلاً مهماً في ثقافتهم التي اتكأت على الأصول ، فشكل انشقاقتهم مرحلة حاسمة في الصراع بين الثبات والتحول ، فكانت هزيمة الرؤية التي ترى

الانفتاح على الثقافات الأخرى وعدم الانغلاق على رؤية واحدة إيذاناً بانتهاء ثقافة التعدد وبروز الوجه الآخر المعادي لكل ما لا يتفق ورؤيتهم ، فعدم استيعاب الخوارج للجوهر الحقيقي للرسالة الإسلامية وتمسكهم بسطحية النص على وفق رؤية ضيقة جداً وضعتهم في زاوية الجهل بالدين والتبجيل الأعمى له ، وأحياناً الشطط أو التعسف في الفهم والتأويل .

يتضح من خلال النصوص التي سنقف عندها عمق الصراع الثقافي بين الرؤى المختلفة الاتجاه حاداً وصلت فيه إلى الاحتراب بالسيف فكان النص الخارجي ديدن البحث في الوقوف على تلك الرؤى لاستبانة صورة الآخر في ثقافتهم التي هي جزء من الثقافة العربية القديمة .

لاشك في أن أدب الخوارج يمثل رؤيتهم الفكرية ونظرتهم للآخر ممن أعلن عداه صراحة لهم أو ممن اتخذ منهم موقفاً مناوئاً يعبر عن تصورهم وأحلامهم وعواطفه الدينية وأرانا لا نتفق مع ما ذهب إليه صاحب كتاب " الخوارج في العصر الأموي " (٢) . من أن أدب الخوارج لم يكن معياراً نقف عنده لاستبانة رؤيتهم الفكرية أو العقائدية ؛ ذلك لأن " شعرهم يعكس حياتهم السياسية بجانبها الفكري والعسكري ، ويمتزج فيه التأمل والزهد بالفداء والتضحية والاستشهاد في ميادين القتال ، مع مسحة غالبية من الحزن الشجي لمصارع إخوانهم في كل حين وفي كل أرض " (٣)

كلما تقدمت عجلة الحياة والثقافة العربية يشند صراعها من أجل العمل على إعادة رسم ملامح رؤيتها التي ظلت تنأى تحت وطأة الموروث العربي القديم والذي ينأى هو الآخر بثقافة فهم الآخر ورفضه وعدم تقبله ، ولا أقف مع كثير من دارسي الأدب العربي القديم في رؤيتهم للآخر ومصادرة أدبه وإغائه أو التمثيل به والسير على مذهبه ، فالرؤيتان تمثلان صورة لا تمتلك مقومات البقاء لأننا سنظل نجهل الآخر إذا لم نلجأ إلى محاورته وفهم طروحاته والوقوف عند ايجابياته فيما لو أمثلك ذلك ، إن تعظيم التراث الرفض للآخر والسير حثيثاً وراءه ، يمثل مرتكزاً سيئاً لفهم تطوّر الحياة ، وظلم التراث نفسه في أن واحد ، لا بد لنا أولاً أن نعرف لماذا ابتعد الخوارج في مصادرة الآخر وعظموا أنفسهم ونزهوها عن الخطأ وعدّوا منهجهم في فهم النص القرآني المنهج الصحيح الذي يجب على الأمة أن تنتهجه .

من هنا كان حرياً بنا أن نفهم الخوارج ونزعتهم لاسيما بعد أحداث معركة صفين (٤) الجسام ، وكيف آل الأمر إلى التحكيم ونتائجه مرّة الوقع على الإمام علي ( عليه السلام ) ، قبل أن نلج هذا الأمر علينا العودة إلى حيثيات نشأتهم الفكرية المعارضة في الإسلام لاسيما في تصفية الآخر والنظر إلى تقديس الذات فيما يروى أن رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) بينا هو يقسم قسماً جاء رجل من بني تميم ، يُدعى ذا الخويصرة ، فقال : اعدل يا محمد ، فقال ( عليه السلام ) : " قد عدلت " ، فقال له ثانية : اعدل يا محمد ، فإنك لم تعدل ، فقال ( عليه السلام ) . " ويلك ! ومن يعدل إذا لم أعدل ! " ، فقام عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله ، انذن لي أضرب عنقه ، فقال : " دعه ، فسيخرج من ضنبيء (٥) هذا قوم يمرقون (٦) من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر أحدكم إلى نصله (٧) فلا يجد شيئاً ،

فينظر إلى نَضِيهِه (٨) فلا يجد شيئاً ، ثم ينظر إلى الفُذَذ (٩) فكذلك ، سَبَقَ الفَرْتِ والدم (١٠) ، يخرجون على حين فُرْقَةٍ من النَّاسِ ، نُحْتَقِرُ صَلَاتُكُمْ في جَنَبِ صَلَاتِهِمْ ، وصومُكم عند صومهم ، يقرؤون القرآن لايجاوز تراقيهم " (١١) وعن حنش الصنعاني ، قال : جئت إلى أبي سعيد الخُدْرِي ، وقد عَمِيَ ، فقلت : أخبرني عن هذه الخوارج ، فقال : تأتوننا فنخبركم ، ثم ترفعون ذلك إلى معاوية ، فيبعث إلينا بالكلام الشديد ! قال : قلت : أنا حنش ، فقال : مرحباً بك يا حنش المصري ، سمعت رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ، يقول : " يخرج ناس يقرؤون القرآن ، لايجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر أحدكم في نصله ، فلا يرى شيئاً ، فينظر في فُذَذه فلا يرى شيئاً ، سبق الفرت والدم ، يصلي بقتالهم أولى الطائفتين بالله " ، فقال حنش : فإن علياً صلي بقتالهم ، فقال أبو سعيد : وما يمنع علياً أن يكون أولى الطائفتين بالله ! " (١٢)

نستطيع أن نجلي موقف الخوارج من معارضيتهم علي وفق رؤيتين واضحتين كانتا تحتلان الأساس في بنائهم الفكري حيال الآخر وتعدان سبباً رئيساً لخروجهم على الرؤية التي سبق وتبينوها ، لاسيما في حروبهم التي شاركوا فيها الإمام علي ( عليه السلام ) ، وقد تجلت هاتان الرؤيتان جلاءً سافراً في معركة صفين ، وعدتا الفيصل في بيان موقفهم من الآخر وكيفية النظر إليه وإلى حقوقه .

إن عدم تعرض الفكر الخارجي للنقد بسبب حراجه انتمائه للأصول الإسلامية لم يمنح فرصة تاريخية للخلاص من الهيمنة التي انقاد لها الخوارج ووصلت بهم حد القطيعة مع ما كانوا ينتمون إليه وللنظر إلى معنى قوله تعالى ، ولنلاحظ كيف فسر الإسلام معنى الانتماء للدين " قالت الأعراب أئنا " (١٣) ، فكانت هناك قطيعة واضحة في انتماء الخوارج في مجالات الفكر والثقافة والسياسة جراء الاعتقاد الذي اعتمده منهجاً في حياتهم .

عندما انكشف غبار معركة صفين وهدأت وطأة الحرب ، اتجه الطرفان المتصارعان إلى الحوار وكان موقف الخليفة الإمام علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) رافضاً لمسار الحرب وما آلت إليه الأمور وكيف انتهى أمر التحكيم الذي تبناه الخوارج أول أمرهم وضغطوا باتجاه يؤدي إلى أن ينصاع لهم على مضض وقناعة تامة بأن نداءهم " كلمة عادلة يُراد بها جور " (١٤) ، ولكنهم لم يسمعوا ذلك وإنما اصروا على الاستبداد بما يرون ، وحينما انتهى التحكيم إلى ما انتهى إليه بخروجهم عن صف علي ( عليه السلام ) ، الذي دفعوا به إلى ما يرون وصادروا رأيه ورأي من التفوا حوله وتعصبوا له .

من هنا بدأت مصادرتهم للآخر وتجسد ذلك في طروحاتهم الأدبية وهم على تسترهم بشعارهم الديني الكبير " لاحكم إلا الله " (١٥) ، بناءً على أن " الايمان يعني الفهم أو البحث عن الفهم " (١٦) ، لكن رؤيتهم السياسية بينة إلا لمن انخدع بطروحاتهم من المنغلقيين فكرياً على ما يرون ، فهذا عبد الله بن وهب الراسبي (١٧) الذي اتخذ منه الخوارج زعيماً لهم بعد اعتزالهم علياً ( عليه السلام ) في حروراء (١٨) يكشف عن رؤيته اتجاه الآخر ، يقول :

**نقتلكم كي تلتزموا الحقَّ وحده ونضربكم حتى يكونَ لنا الحكم (١٩)**

جسد الشاعر مدى الانغلاق على رؤيتهم ، وتعصبهم في رؤية الحق فيما يدعون أنه الحق، ولا ريب هو تعصب أعمى لما يتبنون من أفكار على الرغم من هيمنة التعايش السلمي عند المسلمين في نشأة دعوتهم وتقديمهم صورة إيجابية للعلاقة القائمة بينهم ورؤيتهم للآخر ، فلم ينظر الخوارج بعين العدل الإسلامي لما قدم إمامهم علي ( عليه السلام ) من منجز إسلامي من أجل أن يبني الإسلام على وفق مفهومات العدل والمساواة التي جاء من أجلها إلا أن نظرتهم الضيقة ومحاولتهم التسلق للسلطة دفعت بهم إلى هذا المنحى ، وصيرتهم طلاب حكم لا طلاب حقيقة يجاهدون من أجلها .

والمثير في الأمر أن الإمام علياً ( عليه السلام ) كان يمثل أمامهم الرؤية التي تحترم الآخر وقد جسد ذلك في أكثر من موقف لا سيّما مع الخوارج ، عندما أرسل عبد الله بن عباس (رض) (٢٠) ابتغاءً عودتهم إلى صفوف جنده إلا أن نزعتهم للخروج بما آمنوا به وأن لم تكن صادقه في فحواها دليل كبير على مصادرة الآخر ، وقد ترك ابن عباس أثراً واضحاً في نفوسهم عند مناظرته لهم في حروراء وكاد أن يكسب جمعاً كبيراً منهم ، فنادى الفريق الذي ظل مصراً على ما يؤمن به " لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم " (٢١) واتكئوا على مواجهة القرآن الكريم في تفسير رؤيتهم ودعمها فقد وصف القرآن الكريم قريشاً بالخصومة في قوله تعالى: { بل هم قوم خصمون } (٢٢) ، هنا يتضح النزوع للعصبية القبلية في مواجهة الآخر ولعلها كانت سبباً رئيساً في نشأتهم وتكوين فكرتهم اتجاه الآخرين ولاشك في أننا سننظر نور في فلك التحكيم كونه النقطة المفصلية التي نهضت في ضوئها آراء الخوارج اتجاه معارضتهم ، فهذا الأشعث بن قيس يتخذ موقفاً حاداً في تشكيل الحكومة بين الفريقين المتصارعين ويرفض بشدة رفضاً قاطعاً أن يتم ترشيح عبد الله بن عباس لأنه من مضر التي تنتمي إليها قريش ، فيقول " لا والله ، لا يحكم فيها مضرين حتى تقوم الساعة " (٢٣) ، تنكر الأشعث في هذا الرأي إلى قوة الانتماء الإسلامي وأثره في محاربة العصبية القبلية وعاد تحت غطاء رفع المصاحف والإستجابة لكلام الله ، أن ينحاز بشكل واضح لفكرة إبعاد الآخر وأن ما يؤمن به هو الصحيح والآخر على باطل وظل هذا ديدن الخوارج في رؤيتهم وقد جسد شاعرهم ذلك في قوله :

**ألم تر أن الله أظهر دينه وصلت قريش خلف بكر بن وائل (٢٤)**

وبكر بن وائل منذ أن بايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وسليمان بن هشام بن عبد الملك عندما تمكن الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي من بسط نفوذه على العراق إبان العصر الأموي فعّد الخوارج ذلك نصراً لبكر بن وائل على قريش (٢٥) ، وهذا يدل على مدى تغلغل النزعة العصبية للقبيلة في شعرهم ويعني أن كثيراً من الرؤى التي ترى أن الخوارج كانوا مخلصين للمعتقد الديني فقط ليست صحيحة (٢٦) فما زالوا متمسكين بالقبيلة ، ومخلصين لأواصر الانتماء إليها .

فإن الخارجي سرّت في أوصاله هذه العصبية ، وان غطيت بمظاهر الانتماء العقدي والصراخ من أجله ، لكنها تجلت سافرة مأخوذة بمأرب الحكم ونيله أسوة بالآخرين من طلاب الحكم والجاه والمال العريض ، وبغية أن تؤكد تأثير هذه

النزعة العصبية في بيان مواقفهم وشدة عدائهم لمتناوئهم من القبائل الأخرى لاسيما قريش . يقول شاعرهم :

**فإنك إلا ترضى بكر بن وائل      يكن لك يوماً بالعراق عصب**  
**فلا ضير أن كانت قريش عدى لنا      يصيبون منا مرةً ونصيب (٢٧)**

### ثقافتهم

كان للقراء أثر بارز في صوغ مقولاتهم تجاه الآخر وبنائهم الثقافي ، فضلاً عن امتداداتهم البدوية وأعرافهم القبلية الواشجة ، فإنّ هذا الانغلاق على الثقافة الإحادية لا سيّما الدينية منها بأصولها العربية أسهم في أن يضعهم في خانة المصادرة للآخر على الرغم من أن ثقافتهم دينية خالصة جعلت المرتبة الأولى في نظرهم قولاً اهتموا إليه فصرخوا به وسط الجموع ، ثم انطوا عليه مؤمنين متعصبين ، إلا وهو " أن لا حكم إلا لله " وكان لسفارة عبد الله بن عباس لهم والرؤية التي عاد بها منهم إلى الإمام علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) وقع فاعل في أن يدعو الإمام نفسه لمحاورتهم والوقوف على كنة شقاقهم محاولة منه لكسبهم إلى صفه من جديد ، لكننا نرى أنّهم لا يعبون بثقافة تنكئ على العقل وتتخذ منه وسيلة ناجعة لفهم الآخر وأنما انغلقت على رؤية واحدة في فهم النص القرآني ، ذلك إنّ وقوفهم عند هذه الحدود لم يسم بهم إلى أن يقدموا أفكاراً تحمل المعتقد الذي آمنوا به إلى مصاف السمو والإعجاب من قبل جمهور المسلمين بل وجدوا فيهم ثلة ضالة امتهنت قتل الإنسان وصادرت الرأي الآخر ، وأجمعتهم على قتالهم بجدّ وحدّ .

لقد أشرت في مستهل القول إلى أنّ للخوارج سفيراً تاريخياً يمتد إلى عهد النبي ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وقد مثلوا الصورة الحقيقية للمغالاة في المجتمع الإسلامي المتسامح مع الآخر بل وصل الأمر بهم إلى أن نصبوا من أنفسهم قومةً على الدين وأنهم المعيار الذي يحدد في ضوئه الفرق بين الحق والباطل وأنّ ثقافتهم الدينية بامتداداتها التي أشرنا إليها في نظرهم هي الحد الفاصل بين الحق والباطل ، فأدرك الخوارج أنّ الإمام علياً ( عليه السلام ) لا يمكن أن يخضع لأفكارهم ويهادنهم على ما سارت عليه الأحداث على أيديهم ألم يعلموا أنّه كان يقول لهم إذا صاحوا في الجموع بقولهم المأثور : " أن لا حكم إلا لله " كان يجيبهم بقوله : " كلمة عدل يراد بها باطل " .

نرى أنّ وقوفهم مع ابن الزبير (٢٨) في مكة عندما زحفت جيوش الأمويين لانتزاع ولاية الحجاز منه ، كان وسيلة أخرى لمحاربة منهج الإمام علي ( عليه السلام ) في الاستماع إلى الآخر ، وقد أشار ابن همام (٢٩) إلى هؤلاء الخوارج الذين يريدون العبور عبر بوابة انغلاق ابن الزبير إلى تحقيق مآربهم ، يقول :

**يا بنّ الزبير أتهوى عصبه قتلوا      ظلماً أباك ولم تُنزع الشكك**  
**ضحوا بعثمان يوم النحر ضاحيةً      ما أعظم الحرمة العظمى التي انتهكوا (٣٠)**  
على الرغم مما أمثلك أمير المؤمنين ( عليه السلام ) مقدره قتالية عالية ومملكة أدبية فذة في الإقناع لكنه ظل يصارع الرؤى التي هيمنت على الخوارج بمتداداتهم الثقافية المتشددة والتي تأخذ شرعيتها ادعاءً من القرآن الكريم فبعد أن حمل الأشعث

بن قيس كتاب التقاضي وأن الجموع من الطرفين قد أعلنوا عن مواقفهم عمّا جاء فيه (٣١) ، حتى خرج أولئك الذين كانوا قد اجبروا علياً ( عليه السّلام ) حينما رفع الأمويون المصاحف وأشار عليهم الإمام بأنهم ما رفعوها إلا مكيدة ودّهناً ، والرأي القتال حتى تنجلي الأمور وهكذا نرى المفارقة العجيبة ، والقول المختلط المضطرب فأذا عليّ - عندهم - هو الذي حكّم عمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري ، وهم براءٌ من ذلك ، فما من لقاءٍ مع علي ومعرفةٍ به ، وما من مهادنة وصلح ، وإنما قتال لا هوادة فيه ، وإعلان لا خشية منه ولا فرق وهو " أن لا حكم إلا لله " ، فلم ينساقوا لما طرح عليهم بل أصرّوا على ما دعوا إليه وصادروا الرأي الآخر ، فكان الرد حينما ورد الكتاب واتضح التحكيم لهم وقد جسد ذلك فروة بن نوفل الخارجي (٣٢) رؤية الخوارج في التحكيم في قوله :

نُقاتل من يُقاتلنا ونرضى      بحكم الله لا حكم الرّجال  
وفارقنا أبا حسن عليّاً      فما من رجعةٍ إحدى الليالي  
فحكّم في كتاب الله عمرواً      وذاك الأشعريّ أخوا الضلال (٣٣)

كان الإمام علي ( عليه السّلام ) يغمره شعور الاغتراب عن هؤلاء فقد اجتمعت أمور جمة نغصت حكمه كانوا السبب الرئيس فيها ؛ فاضطرم في أعماقه إحساس بالقلق منهم ، والخشية مما قد يدبرون ، لذلك كان حينما يحاورهم يدرك مدى عمق انتمائهم لرؤيتهم فكان بقدر ما يزداد تعاطفاً معهم إدراكاً منه لعزلتهم ففي الوقت الذي يمنح الآخر في ثقافته وفلسفته ورؤيته للحياة نجدهم يقفون بالضدّ من ذلك يقولون : " لا حكم إلا لله ، الحكم لله لا لك يا علي ، لا نرضى بان تحكّم الرجال في دين الله " (٣٤) .

نلاحظ في النصوص المتقدمة مدى الإصرار على مصادرة الرأي الآخر ولم يكتفوا بما آلت إليه الأمور وجلبت من وبال على المسلمين حينما أصرّوا على رأيهم وأجبروا علياً على الموافقة على التحكيم يعودون كرّة أخرى مرتدين لباساً آخر لمصادرة الرأي الآخر ، فيقولون مخاطبين علياً : " إنا أذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم ، وقد تُبنا ، فتب إلى الله كما تُبنا نَعُدُّ لك " (٣٥) .

كان الإمام يجسد المثل الأعلى لفهم الرؤية الإسلاميّة ، فقد احتج عليهم بكتاب الله الذي يدعون الانتماء إليه وأنهم ممثلوه الشرعيون ، فقال مذكراً إياهم بأنه صاحب موقف وميثاق وبما أمر الله فلا يمكن أن يخل بذلك تجسيدا لقوله تعالى : { وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون } (٣٦)

وحينما انفض الطرفان على ما اجتمعوا عليه ، بادر الشّاعر الخارجي ليصور حقيقة رؤيتهم اتجاه الآخر ، مدعيّاً لفرقة النجاة وأن كلّ أولئك الذين كان لهم الأثر الواضح فيما آلت إليه حرب صفين إلا أنّه قد تجرد من ذلك وراح يكيل الشتم ويصف الآخرين بأوصاف لا تنتمي للإسلام وقد وضع الجميع في ميزان واحد ، ذلك ما قاله أبو المصك الطائي :

يالهدف نفسي على سيفٍ وشيعته      لو كنتُ ألحقتُ سيفاً بالخبيثينا

أَبْرًا إِلَى اللَّهِ مِنْ عَمْرٍو وَشِيعَتِهِ وَمَنْ عَلِيٌّ وَمَنْ أَصْحَابِ صِفِّينَ  
 وَمَنْ مُعَاوِيَةَ الطَّاعِي وَشِيعَتِهِ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْقَوْمِ الْمَلَاعِينِ (٣٧)  
 أعلن البراءة إعلاناً صريحاً لا خفاءً فيه من عمرو بن العاص ، وعلي ، ومعاوية ،  
 وكلّ مَنْ شايعهم وبايعهم ، فهم قوم ملاعين ، هذا كلّ ما نحظى به من تأويل  
 لمعتقدهم وسلوكهم وموقفهم من مناوئهم ، وهو البراءة واللعن ، وليس شيء سواهما  
 انطلق الإمام علي (عليه السلام) في تعامله مع الخوارج من ثقافته الإسلامية تلك  
 الثقافة التي نعدّ القرآن والسنة النبوية أهم مرجعياتها والتي كان غرضها الأساس بناء  
 الفكر الإسلامي .

### من حكاياتهم

إنّ الاختلاف في الرؤى لا يعني تبايناً وقطيعة وإنّما يمكن أن يُعدّ وسيلة لضم  
 الآخر وهذا ما تجسد في حواراته مع الخوارج الذين تعاملوا بسلطوية مع الآخر على  
 الرغم من أنّ الطرفين ينتميان إلى مرجعية واحدة وهي الإسلام فما نال الإمام  
 علي(عليه السلام) على يد الخوارج امتد إلى سائر المسلمين على اختلاف طبقاتهم و  
 حكاية عبد الله بن خباب والحوار الذي دار بينه وبينهم صورة أخرى لهيمنة رؤية  
 الإقصاء عندهم وتصفية الآخر تحت فهم سلبي للنص القرآني .

يروى المبرد في كتابه الكامل في اللغة والأدب حكاية لقاء عبد الله بن خباب  
 مجموعة من الخوارج وكيف تمت تصفيته على أيديهم ، يقول : " ولقيهم عبدُ الله  
 بنُ خَبَابٍ وفي عنقه مصحفٌ ومعه امرأته وهي حامل فقالوا له :  
 إن هذا الذي في عنقك ليأمرنا أن نقتلك !

قال : ما أحيا القرآن فأحيوه ، وما أماته فأميتوه ، فوثب رجل منهم على رطبة  
 فوضعها في فيه ، فصاحوا به فلفظها تورُّعاً ، وعرض لرجلٍ منهم خنزير فضربه  
 الرجل فقتله ، فقالوا : هذا فسادٌ في الأرض !!

فقال عبد الله بن خباب : ما عليّ منكم بأسٌ ، إني لمُسَلِّمٌ ، قالوا له : حدثنا عن أبيك  
 ، قال : سمعتُ أبي يقول : سمعت رسول الله ( صلى الله عليه وسلم )  
 يقول : " تكون فتنةٌ يموتُ فيها قلبُ الرّجلِ كما يموتُ بدنه ، يُمسي مؤمناً ويصبح  
 كافراً ، فكن عبد الله المقتول ، ولا تكن القاتل " .

قالوا : فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى خيراً ، فقالوا : فما تقول في عليّ قبل  
 التحكيم ، وفي عثمان ست سنين ، فأثنى خيراً  
 فقالوا : فما تقول في الحكومة والتحكيم ؟

قال : أقول : إنّ عليّاً أعلم بكتاب الله منكم ، وأشدُّ توقيّاً على دينه وأنفذ بصيرةً ،  
 قالوا : إنك لست تتبع الهدى ، إنّما تتبع الرجال على أسمائها !

ثم قربوه إلى شاطئ النهر ، فذبحوه فامدقّر دمه : أي : جرى مستطيلاً على دقة  
 وساموا رجلاً نصرانياً على نخلة له ، فقال : هي لكم ، فقالوا : ما كنا لناخذها إلا  
 بثمن !

قال : ما أعجب هذا ، تقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا نخلة إلا  
 بثمن !! (٣٨)

يتضح من هذه الحكاية كيف استقبل الخوارج الآخر؟ وكيف تعاملوا معه؟ فهذا النص يمثل صورة حقيقية لمنهجهم الفكري في الاقصاء، فلم يستوقفهم تاريخ أبي عبدالله ولا إسلامه، بل نظروا إلى الجنبه التي تتوافق مع ما يدعون الآخرين إليه، كان العداء مستحكماً بين الخوارج وعبد الله بن خباب في الرأي والنظر للآخر، وقد يكون لفتاة الأخير بأنه ميت لا محال فأراد أن يموت تلك الموته المشرفة، أرادوا منه أن يقر بخطأ ويلزمونه به، في الوقت الذي يرى أنهم على باطل ومنغلقون على رؤيتهم، ومما يثير هنا ذلك المنطق الذي ساد لغة الحوار، فعبد الله بن خباب يرى في الخوارج ناكثين للعهد غير صادقين بما خرجوا عليه.

يصور الخوارج الآخر على أنه ناكث لإسلاميته غير ملتزم بها ودليلهم على تمسكهم بفكرهم الإسلامي الذي يرونه من زاويتهم الضيقة أو بسبب جهلهم لأبعاد النص القرآني فهم يتسامحون مع الذمي لأن الإسلام طلب عدم التعرض له لكنهم في الوقت نفسه يهدرون دماً مسلماً مؤمناً بكتاب الله ورسوله لتعارضه مع ما يؤمن به، ونرى علامات الدهشة والالتفات عند النصراني الذي كاد الخوف يقتله من لغة تعاملهم مع الآخر الذي ينتمون إليه في يوم ما، لقد اعتمد ابن خباب في أول أمره معهم لغة ضبط النفس على الرغم من التوتر الذي بدا عليه جراء العداء الذي أظهره الخوارج واللغة التي فاجأه بها، كانت لغة متوترة وهي انعكاس حقيقي لمنهجهم في التعامل مع الآخر الذي يناوهم الفكر والرؤية في فهم الأشياء، وكانت إجاباته موجزة وأكثر ميلاً للتخلص من المأزق الذي وجد نفسه فيه إلى أن وصل الحوار بينه وبينهم إلى نقطة اللاعودة منها فعلى الرغم من لغته هذه التي هي وليدة اللحظة الحاسمة لم يستطع أن يتخلى عن ما هو مؤمن به إيماناً عميقاً فرسم لهم صورة حالهم التي يكرهون سماعها من الآخرين وكيف آلت حال المسلمين جراء منهجهم وفهمهم لمنهج التعامل مع الآخر.

دافع عبد الله عن رؤية آمن بها وهي أن علياً (عليه السلام) كان يمثل صورة الإسلام الحقيقي، فكانت القطيعة بين رؤيتين فتمت تصفيته على أيديهم متعللين بعدم فهمه للدين وإنما كان يفهم الإسلام على وفق المسميات وليس الأصول، هذا حكمهم الذي جاروا به على الآخر، جاء خطابهم دليلاً عن مدى ضعف فهمهم للنص القرآني الذي تغلوا به في تصفية الآخر بغية تحقيق ما يرون حتى وأن تم ذلك لهم على دماء المسلمين، وإلا كيف نفسر فهمهم للحلال والحرام فمن جهة يحرمون أكل (رطبة) وبالمقابل ينحرون مسلماً مثل عبد الله بن خباب ويتقاطعون مع قوله تعالى: **{إنما المؤمنون إخوة}** (٣٩)

### التعصب الفكري

كان ضيق الأفق الذي يعيشه الخوارج وراء توتر علاقتهم بالآخر واتخاذهم رؤية تمثل فيها الجمود الفكري بأدق صورته فلم يستطعوا الخلاص من هيمنة رؤيتهم فكان سلوكهم اتجاه الآخر ينماز بالعنف والتكفير والتصفية لرؤية الآخر الذي يشاركونهم ويعمل معهم في بناء تجربة الحضارة الإسلامية التي كانت تنوء بحمل الانطلاق فكانوا الأشد تعصباً عليهم وقسوة، كفروا الآخر ونظروا إلى من يؤمن برأيهم نظرة أخرى، يقول سمره بن جعد الخارجي:

فمن مُبْلِغُ الحجاج أن سميره  
 رأى النَّاسَ إلا من رأى مثل دينه  
 فأقبلتُ نحو الله بالله واثقاً  
 إلى عصابة أما النهار فإتهم  
 وأما إذا ما الليلُ جنَّ فإتهم  
 ينادون للتحكيم بالله إنهم  
 وحكم ابن قيس مثل ذاك فأعصموا  
 بحبل شديد المتن ليس بناهج (٤٠)

أعلن صراحةً أن الإيمان مستقر فيهم عقيدة وسلوكاً فالعقيدة أنهم المؤمنون وما  
 سواهم ملعونون والسلوك جهاد في النهار وعبادة في الليل ، وما تمخضهما – العقيدة  
 والسلوك – إلا لموقفهم من التحكيم حين امتحنوا بعمر وبن العاص وأبي موسى  
 الأشعري ، فارتدوا على أعقابهم مؤمنين بموقفهم ومعتصمين بنظرتهم الصائبة ، وما  
 من سبيل إلى حوار ، أو اهتداءٍ إلى مسوغٍ آخر ، سواء أكان نصياً أم عقلياً .  
 لم يتسع أفق الخوارج للاستماع للآخر ومحاورته والانتباه إلى فصاحته ومقدرته  
 على استبانة الأمور التي أوهموا أنفسهم بها ، كان العقل عندهم يعاني من سبات  
 خطير ، ولم يعلو من شأنه شأن محاورهم الذي اتكأ على نص عقلي يتقدم من خلاله  
 في الفهم عليهم ، يتضح لنا أن الإسلام في مفهومه العميق لم يتغير في نظرة الخوارج  
 للآخر لكننا نعتقد أنهم ظلوا ورثة حقيقيين لحياتهم التي كانت تعاني من وطأة التراكم  
 الثقافي الجاهلي في النظر إلى الآخر.  
 فها هي ذي أم عمران ترثي ولدها الذي قُتل في إحدى المعارك التي خاضها الخوارج  
 ضد مناوئهم بقولها :

الله أيدٌ عمراناً وظَهْرُهُ      وكان عمران يدعو الله في السَّحَرِ  
 يدعو سرّاً وإعلاناً ليرزقه      شهادةً بيدي ملحادة غُدْرِ  
 ولى صحابته عن حرٍّ ملحمةً      وشَدَّ عمران كالضُرْغامَةِ الهَصْرِ  
 أعني ابن عمرة إذ لاقى منيته      يوم ابنُ نابٍ يُحامي عورة الدُّبْرِ (٤١)

نلاحظ على النص أن الشاعرة تصور رؤية واضحة اتجاه الآخر الذي  
 سلب منها وليدها ، وتصر على جانب مهم تؤكد عليه في أبياتها وتصادر هوية الآخر  
 المسلم حينما تصفه بـ (ملحادة غُدْرِ) ، والملحادة في اللغة ، كثير الكفر ، في الوقت  
 الذي نعرف جيداً أن القتال كان يدور بين فرق إسلامية اختلفت في اجتهادها وفهمها  
 للنص القرآني فكفر بعضهم بعضاً واحتموا بالنص القرآني وبما يتوافق مع رؤيتهم .  
 قام منهج الخوارج في نظرهم للآخر على الإيمان بعدم صدقه معهم في الوقت  
 الذي ندرك منه جيداً بأن الفكر الإسلامي يقوم على وحدة الخلق والأخوة والمحبة بين  
 الناس في قوله تعالى : { ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً  
 وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله اتقاكم } (٤٢) ، فهذه السَّعة والدعوة إلى  
 الأخوة مبتغى الناس لنيل كرم الله ، لا الضيق والجمود والتعصب .

لقد قاوم الخوارج هذا المنطلق في السلوك الحياتي وبرز ضيق أفقهم بالإنتماء  
 القبلي الذي نهى عنه الإسلام ، وأن التقوى هي المعيار الحقيقي للتفاضل بين البشر ،  
 فكيف انساق الخوارج وراء رؤيتهم وعدوا من أنهى حياة أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب ( عليه السلام ) معياراً للتقوى ، يصف ذلك أحد شعرائهم المبرزين ، عمران بن حطان ، يقول :

يا ضربةً من تقِيٍّ ما أراد بها  
إني لأذكره حياً فأحسبه  
أكرم بقوم بطون الطير قبرهم  
لله درُّ المرادي الذي سفكت  
أمسى عشية غشاه بضربته  
حتى متى لا نرى عدلاً نعيشُ به  
والأليبغ من ذي العرشِ رضوانا  
أوفى البرية عند الله ميزانا  
لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا  
كفاه مهجة شر الخلق إنسانا  
مما جناه من الآثام عريانا  
ولا نرى لدعاة الحق أعوانا (٤٣)

حاول الشاعر أن يلقي بظل الانتماء الإسلامي لفكره بكثافة واتكأ على مفردات إسلامية ليصور للآخرين أنه يعبر عن رؤية مسلم مؤمن والتحرر من أن يوصم بأنه خارج عن الفكر الإسلامي إلا أن صوتاً آخر في النص واضحاً جلياً يمنحنا قدرة التفكير بتلك الموازنة التي وضعت بينهم وبين الآخر الذي تمت تصفيته على أيديهم ، فيا ترى كيف وازن ابن حطان بين رجل من شذاذ العرب وبين تاريخ أمة وعده شر الخلق إنساناً أين مكارم الأخلاق التي تجسدت في تصفية الآخر الذي ملّ النداء لهم للعودة إلى أحضان الإسلام الذي خرجوا عليه بعد أن أعلنوا ندمهم ( ٤٤ ) ، لاشك في أن مرجعية مكارم الأخلاق هي تقوى الله ( عز وجل ) والورع عن المحارم ، لكن نزعة الخوارج واندفاعهم في تصفية الآخر المناوئ لرؤيتهم فدفعهم ذلك إلى وصفه بصفات لا تليق بإنسان يحمل الإيمان الحقيقي بالله ( عز وجل ) ، نرى ابن حطان يدعو في النص إلى العدل المفقود ويسأل عن حلمهم متى سيتحقق ، تدل الأبيات على أن الشاعر قد استكملت لديه حلقات الرؤية الضيقة في فهم الآخر وأنه منطو على ما يؤمن به فأفصح عن شخصية استكملت تكوينها في رؤية الأشياء المحيطة بها فكانت صورة الآخر في نظره تحمل نذير صوت عالي التفكير بخلط عناصر الإيمان التي يقوم عليها الدين ، فكان أن زعم مزاعم تعبر عن رؤية ضيقة فلم يكتف بوصف الآخر " بشر الخلق " لكنه يدعو إلى تحقيق رؤية الخوارج وتصفية الآخر المناوئ لهم ، إن النص يمثل انحيازاً واضحاً للخوارج الذي هم في نظره " أوفى البرية عند الله ميزانا " ، إن هذا القناع الذي تستر به الخوارج وغطوا من خلاله حقيقة مفهوماتهم السياسية التي يدعون لها ( ٤٥ ) ، إن النص يقاطع هذه الرؤية ويكشف عن زيف قناعاتهم التي يتسترون بها تحت مسمى الإسلام ، لقد استسلموا لرؤيتهم واستغرقوا في سبات الوهم وقد غلب عليهم في فهم الآخر ، وأن أي محاولة كانت لايقاظهم من هذا السبات الذي ذهبوا فيه بعيداً ، وأن أي نداء يصطدم بتحجرهم الفكري أي صوت يدعوهم لم يعد له من يسمع ، خاض الخوارج تجارب مرّة ، ضاعت ملامحها وتلاشت لأنها لم تمتلك من الحقيقة التي يدعونها شيء ، فأى دين يتحدثون عنه الذي يقول فيه شاعرهم :

أكرم بقوم بطون الطير قبرهم  
توقظ الصورة في المتلقي إحساساً غريباً عن مدى تضحية أولئك الذين اتخذت  
الطير من قتلاهم غذاء لها وليس لهم قبور تدل عليهم لأنهم يتركون في الصحراء  
ليس هناك من يدفنهم ، كشف الشاعر في بيته حقيقة واقعية لمعاركهم مع الآخرين

ولكنه لا يتضافر مع الصورة التي في ذهن المتلقي عن رؤيتهم ، فهؤلاء الخوارج يقطع الرأي ابن حطان فيهم بأنهم " لم يخلطوا دينهم بغياً وعدواناً " ولكن عودة على بد إلى مواقفهم المتعددة التي سببت وجعاً وانهياراً واضحاً لرؤية الإمام علي (عليه السلام) ، في بناء الدولة الإسلامية المثالية التي جسدها في سلوكه ونمط حياته ، ففي الوقت الذي ينادي شاعرهم بأنهم يقاتلون وخدمهم من دون أنصار وأنهم لا يرون عدلاً يحتمون بظله أنها رؤية قائمة لواقع الحال الذي كانوا سبباً رئيساً فيه ، لم يكن الشاعر هنا تسجيلياً لواقع صراعهم مع الآخر بل كان من الفنيّة في بناء الصورة يحمل شيئاً كثيراً ، لقد نبه من دون شك في هذا البيت على رؤيتهم للآخر وأن منطلقاتهم الإيمانية وصورة المؤمن التي رسمها عمران بن حطان تتقاطع مع منهجهم في التعامل مع الآخر ، فالشاعر يصرخ بصوت عالٍ موضعاً موقفه مستغنياً باحثاً عن الأنصار ممن يتوافقون مع هذا الانغلاق الفكري الذي يعيشه الشاعر ومريدوه الذين صورهم في أجمل صور من الناحية الفنيّة ، ونلاحظ شعراء الخوارج يكررون أنفسهم في الموضوعات والمنهج الندائي فضلاً عن النسق اللغوي المعتمد وأنّ المفارقة هنا تترك أثراً واضحاً في استبانة رؤية الخوارج ففي الوقت الذي يصر الشاعر في دعوته على مديح ذلك الخارجي الذي كان صورة للتعامل مع الآخر وتصفيته نراه لا يميل ولا تتغير لهجته الداعية إلى نصره الخوارج وضرورة مؤازرتهم لأنهم لم يبيغوا على أحد وقتلهم للمسلمين في نظره لا يُعدُّ عدواناً وبغياً وإنما من أجل الإسلام والحق ، لقد تقمص الشاعر صورة الداعية لبناء إسلام خال من الظلم والاضطهاد ، ولاشك في أنّ مديحه لقاتل خليفة المسلمين معياراً لرؤية الخوارج للآخر ولما سيطر عليهم في آن واحد ، لقد امتلك الشاعر لغة سهلة تتوافق مع المعنى بل تتماهى معه لتكشف حقيقة رؤيته للآخر ، وقد تحقق ذلك على المستوى الإسلوبى والتخيلى في الرؤية لدولة الخوارج في ذهن الشاعر وكيفية بنائها .

### الإمام علي (عليه السلام) وفهم الآخر

واجه الإمام علي (عليه السلام) ، خياراً صعباً و أساسياً في مواجهة الخوارج في ذلك الوقت ألا وهو كيفية التعامل مع هؤلاء المنغلقيين على رؤية واحدة وما هو الموقف الذي ينبغي له اتخاذه بإزائهم فهل يجنح لحرب لا تبقي ولا تذر أو يرضى بطروحاتهم التي بدأت تتصاعد وتلاحقه في كل مكان فكان عليه أن يرضى بعد أن وصل الأمر إلى طريق مسدود فلا مناص في نظره من قتالهم وهذا الحال يمنحنا فرصة التأمّني في دراسة الموقف لاسيما من خلال نصوصهم الأدبية ، يقول أخنس بن العيزار الطائي :

على النهر كانوا يخضبون العواليا  
حناتيك فاغفر حوبنا والمساويا  
فكلُّ على الرحمن أصبح ثاويا (٤٧)

أضرب في القوم لأخذ النار  
ويرجع الحق إلى الأخيار (٤٨)

ثمانون من حييٍ جديلةٍ قتلوا  
ينادون ألا حكم إلا لربنا  
هم فارقوا من جارٍ في الله حكمة  
يقول عبد الله بن وهب الراسبي:

أنا ابن وهب الراسبي الشاري  
حتى تزول دولة الأشرار

يقول أبو بلال مرداس بن أدية:  
أبعد ابن وهب ذي النزاهة والتقى  
أحب بقاءً أو أرجى سلامة  
فيارب سلم نيتي وبصيرتي

ومن خاض في تلك الحروب المهالكا  
وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا  
وهب لي التقى حتى الأقي أولانكا (٤٩)

تدل تلك النصوص على فشلهم في فهم الآخر و عدم رغبتهم للتقرب منه للتداخل العجيب في تكوينهم الاجتماعي وانتمائهم القبلي فكان أن وقفوا موقف الضد من الآخر، لم نقف على هذه الرؤية في هذه الأبيات فقط بل نجدها انبثت في معظم أدبياتهم .

نلاحظ من نصوصهم شدة إلحاحهم على الافتراق عن الآخر ومحاربتة وتكفيره فلم يلجئوا إلى طرق أخرى من المهادنة وظلوا مصرين على ما يرون من أنهم يمثلون النقاء الإسلامي ، وأن الآخرين عيال عليه ، ظل الآخر في نظرهم صنواً للاختلاف والعداوة ، للخطر والشر القاتل ، لم يستطيعوا أن يكتموا حتى ما في دواخل أنفسهم من شيء يتلاقى مع الآخر ، حتى في تلك المحاولة التي قام بها ابن عباس في بيان صورة الإمام علي (عليه السلام) وأنه لا يستحق ذلك منهم (٥٠) ، وحينما استجاب بعضهم للأمر باعتماد الإمام التورية معهم في كسب ودهم ، لكنهم جراء ما يسيطر على تفكيرهم بأن انسياقهم وراء الإمام علي (عليه السلام) جاء نتيجة منطقية لتوافقه في الرأي مع منطلقاتهم وفهمهم ورؤيتهم الفكرية ، فعادوا من جديد يطرقون الفكرة نفسها ولا يرون إلا أنفسهم فالآخر عندهم كافر حتى لو كان علياً (عليه السلام) ، يقول ابن أبي مياس المرادي :

ولم أر مهراً ساقه ذو سماحة  
ثلاثة آلاف وعبد وقينة  
فلا مهر أغلى من علي وإن غلا  
كمهر قطام من فصيح وأعجم  
وضرب علي بالحسام المصمم  
ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم (٥١)

لم يكتشف الخوارج الآخر في داخل ذواتهم وكثيراً ما انتهى صراعهم معه إلى التصفية والموت والدماء ، لقد أحاطوا أنفسهم بعزلة كاملة على الرؤى المحيطة بهم ولم يتفهموا الآخر ، ونحن معنيون بكشف عقيدة الخوارج في تصورهم بأنهم وحدهم من دون الفرق الإسلامية الأخرى يمثلون الانتماء الحقيقي للإسلام وأن إيمانهم راسخ بأنهم وحدهم فقط هم الذين يمثلون الرؤية الإسلامية يقول الشاعر عمر بن الحصين العنبري الخارجي :

متأهبون لكل سالحة  
ناهون من لاقوا عن النكر (٥٢)

ويقول :

متأهين كأن في أجوافهم  
ناراً تسعرها أكف حواطب (٥٣)

ويقول :

كم من أخ لك قد فُجعت به  
متأوهاً يتلو قوارع من  
ومبراً من كل سيئة  
قوام ليلته إلى الفجر  
أي الكتاب مقرح الصدر  
عف الهوى ذامرة شرر (٥٤)

لم تختلف صورة الآخر في رؤية الخوارج الأدبية، بل ظلت تتناغم مع كل الرؤى على امتداد الأزمنة والأمكنة التي وجدوا أنفسهم فيها فضلاً عن عدم إظهارهم أي تسامح مع الآخر ولم يسعوا إلى معرفة دواخله، وظلوا يرفضون الجميع ويصادرون رؤاهم ويصفونهم بصفات الكفر والقتل ولم يحملوا يوماً أنفسهم أو يرغمونها في ملاقاته الآخر جراء هيمنة رؤية واحدة وعيشهم في دائرة مغلقة بالأفكار والمعتقدات الراسخة في ذهنهم، لقد أصاب الشاعر الخارجي مناوئيه في مقتل، إذ نال من معتقدتهم الإسلامي ووصمهم بالكفر لا لشيء إلا لأنهم لما يرتضخوا لرؤيته الخارجية.

تكمن مشكلة الخوارج في الوهم الذي سيطر على تفكيرهم والمساحة الشاسعة في الابتعاد عن الآخر، للاعتقاد الذي ساد تفكيرهم بأن انتماءهم الاعتقادي يختلف عن القيم والمعتقدات التي جاء بها الآخرون وقد جسدوا ذلك عبر نصهم الأدبي. فسادت استراتيجية الإقصاء بين الخوارج أنفسهم بعد أن توزعوا إلى فرق متعددة، لم يعترفوا بالآخر بل تشددوا وانغلقوا على رؤيتهم واستبعدوا ممن لا يتفق مع رؤيتهم ونظروا إليه بعين الشك والريبة على الرغم من أن القرآن الذي يدعون تمسكهم به منهجاً قد دعا إلى مبدأ التعارف، جاء في قوله تعالى: { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله اتقاكم } (٥٥).

إن هيمنة رؤية الشعور بأنهم الفرقة الناجية أفرغ المفهوم الإسلامي الذي تجسد في الآية الكريمة التي أشرنا إليها عن مساره الصحيح، فأصبح فهم الخوارج مثل سائر الفرق الإسلامية مبنياً على وفق منظور ثقافي مغلق له مسمياته ورموزه وأعرافه وتقاليده على الرغم من أنها تتكى على المنجز الإسلامي المتمثل بالقرآن، فضلاً عن هيمنة العقل الإحادي واعتقادهم الفرقة الناجية التي تمتلك زمام مفاتيح الإسلام الذي ظل سائداً في تعاملهم مع غيرهم من الفرق الإسلامية الأخرى لاسيما الشيعة في قابل الأمر وبعد ذلك بني أمية ولم يتمكنوا من الخروج مما هم فيه فانضوا تحت قبة تفكيرهم والتواصل مع الآخر وقبوله.

قام الفكر الخارجي على المعنى الديني، وأصل فكرته العقديّة على رؤية تكفير الآخر تحت شعار الالتزام بالقرآن الكريم وذلك يتجسد عند لقائهم عبد الله بن خباب وهو يحمل القرآن على صدره، فقالوا له: " إن هذا الذي في عنقك ليأمرنا أن نقتلك! " (٥٦)، وهذا دليل على أن الخوارج لا يعترفون بالآخر وإنما يتسترون بالنص الديني لتمير رؤيتهم السياسية، يقول أبو حمزة الشاري: " ندعو إلى كتاب الله، وسنة نبيه، والقسم بالسوية، والعدل في الرعية، ووضع الأخماس في مواضعها التي أمر الله بها " (٥٧).

دأب الخوارج على تغليب معتقدتهم على المعتقدات الأخرى التي كانت سائدة في زمنهم وجراء نهجهم في تصفية الآخر، فقدفوا مصداقيتهم عند الآخرين؛ لأنهم أقاموا رؤيتهم وعلاقتهم مع الآخر على الاستبعاد والانصياع لما يفكرون وكل من يخرج عن ذلك فهو عندهم باغ وخارج عن الدين.

توحي أغلب نصوص شعراء الخوارج أنّ إيمانهم كان ضعيفاً تقليدياً ينماز بضيق الأفق الفكري مما عمل على تأجيج الصراع بين الجيش الذي كانوا ينتمون إليه ويعمل على إعادة السلطة المنتخبة إلى دفة الحكم ومحاربة العدو الذي استعمل كلّ أساليب المكر والدهاء وتحت مسميات إسلامية (٥٨) خدع الخوارج بها وظلوا يدفعون ذلك ندماً (٥٩) ، لكنهم بدلاً من العودة إلى منطق التحليل وفهم الآخر الذي كانوا جزءاً مهماً منه وأنما استمروا على نهج رؤيتهم التي تبناها ، فكان أنّ أدى ذلك إلى تفكيك الجيش الذي عملوا تحت امرته ، وقد عبر عن ذلك صالح بن شفيق المرادي في قوله :

**ما لعلّي في الدماء قد حكّم ! لوقاتل الأحزاب يوماً ما ظلم (٦٠)**

في الوقت الذي نرى أنّ الإمام علياً ( عليه السلام ) عمل على وفق رؤية مفادها أنّ الحقيقة ليست ملكاً لأحد ، كان مؤمناً بأنّ الحقيقة لا يمكن أن تقع تحت أفق ضيق يتصور امتلاكها فهي أوسع من أن يحتكرها أحد ما مهما كان أثره في الحياة ، اعترف الإمام علي ( عليه السلام ) برؤيتهم على الرغم من كونهم مارقين عليه لإيمانه أنّهم يمتلكون شيئاً من الحقيقة لذلك أوصى ، في قوله: " لا تقاتلوا الخوارج من بعدي ، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه " (٦١) ، لكننا نجد أدبيات الخوارج تعدّه مارقاً من الدين والعدل الذي يرون فمدحوا قاتله ووصفوه بالتقي ، وتلك من المفارقات الكبيرة في سفر الخوارج وصراعهم مع الآخر ، فالإيمان مختلف هنا ففي الوقت الذي كان الخوارج يرون فيه محاربة مناوئهم على وفق رؤية ضيقة تعاملوا بها ، فكانوا يتقبلون الآخر على وفق مقاساتهم متناسين أنّ الدين لله وأنّه يقبل الجميع وعلى وفق الطريقة التي يقدمون أنفسهم ولا تتعارض مع تعاليمه ، على وفق هذه الرؤية نظر إليهم أمير المؤمنين علي ( عليه السلام ) ، كان يعدّهم مؤمنين على طريقتهم لأنّ الدين يتسع لأكثر من رأي ، وأنّ امتلاك الحقيقة لا يمكن أن يحقق وحده الرأي لأنّه يؤمن بما آمن به ويكفر الآخر ولنا في حكاياتهم في الكامل في اللغة والأدب للمبرد يعزز ما ذهبنا إليه (٦٢).

### رؤية الخوارج المدحية

أخذ غرض المديح مداه عند شعراء الخوارج وكان صورة لموقفهم من الآخر عند مدح أنفسهم ومن والأهم ومن الناحية الفنيّة ارتقى الشاعر الخارجي في غرض المديح إلى بناء صورة متميزة ، ولم يسقط في هاوية التكسب التي أبعدت المديح عن الصدق ودخلت ضمن المنفعة الشخصيّة بمنح الممدوح صفات لا يمتلكها (٦٣) ، فهذا عمران بن حطان وقد رأى الفرزدق ينشد والناس حوله ، فقال له :

أيها المادح العباد ليُعطي  
فاسأل الله ما طلبت إليهم  
لا تقل في الجواد ما ليس فيه  
إنّ لله ما بأيدي العباد  
وارج فضل المقسم العواد  
وسمي البخيل باسم الجواد (؟) (٦٤)

استطاع الشاعر الخارجي أن يبني نصاً يحمل رؤيته لكنه يقع تحت طائلة التشابه التي انمازت بها الصفات المدحية ، انماز ذلك النص عن المديح لأنّ ممدوحه

يحملون صفاتٍ يختصون بها من غيرهم ممن حاول شعراء المديح اسباغها على ممدوحهم .

خرج المديح في الشعر الخارجي تخرج عن هذا الإطار المألوف والمأثور؛ لأنّ الخارجي يمتلك من الصفات ما لا يمتلكها ممدوحو الشعر التكميلي لذلك جاء مديحهم هو الآخر صورة اتجاه الآخر ، ففي الوقت الذي يمنحون من انضوى تحت لواء الخوارج صفات التقوى والشجاعة والايمان بما يرونه من ثبات على الطريق الذي اختطوه بدمائهم نجدهم يجردون الآخر من تلك الصفات التي يقاثلون من أجلها بحسب نظرهم من الخوارج .

نلاحظ كيف يسبغ صفات من المديح قلما نجدها عند شعراء الفرق الإسلامية الأخرى أو حتى ممن سبقوهم من مداحي الجاهلية و صدر الإسلام فكان المدح ناتجاً عن مشاعر صادقة تجاه الممدوحين ، فلم يخف الشاعر شيئاً من مشاعره بل جاءت مسترسلة صادقة .

إنّ ممدوحي الشّاعر الخارجي ينمازون بصفاتٍ لا يمكن أن تطلق على آخر فالخشوع الذي يبدو عليهم صفة تلازم حياتهم وأن أجسادهم قد أبليت جراء عبادتهم وخشوعهم الصادق لله مثلت صفة الممدوح التي أسبغت هنا لا يمكن أن تراها في صورة أعدائهم فهم يتواصلون في عبادتهم ليل نهار مثل ما أشرنا لا يمكن أن تسبغ هذه الصفات على ممدوح آخر لا يملك الرؤية نفسها وسنقف مع نص آخر نلاحظ كيف استثمر الشّاعر الخارجي صفات معينة لممدوحيه وكيف وسم الآخر بالسمات المضادة لرؤيته .

يقول عطية بن سمرة الليثي:

فأبلغ منه حاجتي وبصيرتي

وفي النهروان يقول شاعرهم :

أفتلهم ولا أرى علياً

ولو بدأ أوجرُتُهُ الخطيّا (٦٦)

هذه الرؤية التي يدعو لها النص الثقافي الخارجي تتعارض من دون شك مع تصور النص القرآني وما يحمل من رؤية إنسانية للإنسان بالمسمى المطلق وللإنسان المسلم بشكل خاص (٦٧) ، قدم الخوارج شعراً قيماً لكنه يتصف برؤية ضيقة للآخر متأثرة برؤيتهم السياسية وصراعهم من أجل الوصول إلى دفة الحكم منطلقين من معتقدتهم فجاء شعرهم صورة للتعصب وضيق الأفق .

يقول ابن أبي مياس المرادي

ثلاثة آلافٍ وعبدٌ وقينةٌ

فلا مهراً أعلى من عليٍّ وإنّ غلاً

وَضْرِبُ عَلِيٍّ بِالْحُسَامِ الْمُصَمَّمِ

وَلَا فَتْكَ إِلَّا دُونَ فَتْكِ ابْنِ مُلْجَمٍ (٦٨)

نجد في شعرهم هيمنة لرؤيتهم العقائدية على المعتقدات الأخرى وعلو صوت الخارجي على كلّ صوت حتى وأن ارتكبوا باسم الدين مجازر بحق الآخر المسلم الذي يشاركهم الدين نفسه فحملوا السيّف ، فقتلوا الإمام علياً ( عليه السلام ) على يد

ابن ملجم ( لعنه الله ) وقاتلوا لسنوات طوال هددوا واتعبوا بناء الدولة واسهموا في سقوط خلافة إسلامية عدت مثلاً للدولة الإسلامية ، فأضفوا احسان في مفرداته الشعريّة طابع الورع والتقوى على ممدوحهم ( متأوهون ، قوام ليلته ، متأوها ، عف الهوى ، ذي النزاهة والتقى ) .

ونلاحظ أيضا أنّهم اضعفوا على ممدوحهم الصفات الإسلامية وكانوا اسرى لصور نمطية تحمل ملامح رؤية إحادية تمثل الفكر المنغلق على نفسه بتجاهل الآخر .

واعتمدوا لغة متشددة تحمل ملامح رؤية ضيقة اتجاه الآخر لأنه يمثل رؤية أخرى ففي الوقت الذي يضيف فيه الشاعر الخارجي من الصفات الايجابية على ممدوحه ويغالي في الصفات السلبية على مناوئيه من مثل : " شر الخلق ، جار في الله حكمه ، دولة الأشرار ، النكر ، ولالة طغاة ، ملحادة غدر ، الخبيثينا ، القوم الملاعين "

### رؤية الخوارج الهجائية :

لاشك في أنّ الهجاء يشكل خطأ متوازياً مع المديح ، وقد نبه قدامة بن جعفر (٦٩) إلى أنّ الهجاء محاولة من الشاعر لانتهاك عذرية القيم التي تقوم عليها الشخصية المثالية للحط منها وإذلالها ، فالشاعر يتكئ على المديح في تصوير رؤيته ، قائلاً إنّ المديح " قد سهل السبيل إلى معرفة وجه الهجاء وطريقته ، ما تقدم من قولنا في باب المديح وأسبابه ، إذ كان الهجاء ضد المديح ، فكما كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجى له " (٧٠) .

ارتبط غرض الهجاء ارتباطاً وثيقاً في الذاكرة العربية ضمن منهجها الثقافي في صورة التكبس المرتبط أساساً في مدى استجابة الممدوح فالشاعر يسيل لعبه لما يقدم له من مال فإذا وقع خلاف سنجده يحمل سيفاً بتاراً اسمه الهجاء للحط من ممدوحه ، وشعر الخوارج على قلته يحفل بصور للهجاء مغايرة لما نحمل من صورة ؛ لإبعاد غرض الهجاء العربيّ وبناء صورته ، فالشاعر الخارجي هجا الآخر على وفق منظور ثقافي متشدد بما يحمل وأن الآخر يجب تجريحه والحط منه لأنه لا يتوافق في الرؤية والمنهج العقائدي ، واتخذوا من الفضائل الاجتماعية والاخلاقية متكاً لسلب تلك الفضائل من مناوئهم وهي صورة ولاشك في ذلك امتداد لطبيعة بناء الصورة الهجائية عند العرب إلا أنّ نقطة الخلاف بينهما تقف عند رؤية الشاعر الذي كان يقصد من وراء هجائه باتكائه على تجريد الآخر من صفات الفضيلة والأخلاق أو الجبن في الحرب أو فرارهم منها أو عدم حماية الجار لعدم وفاء الممدوح بالدرهم الموعودات ، بينما نجد الشاعر الخارجي التفت إلى بعض مما أشرنا إليه إلا أنّه استمد من ثقافته صورة الظلم والاضطهاد والغدر والتجبر عند الآخر بمعنى أنّ الشعراء الخوارج لم يجرّدوا مناوئهم من الفضيلة والأخلاق بل وصفوهم بصفات تنفي انتماءهم إلى الدين وهو المعتقد الذي تلتقي عليه الفرق الإسلامية كلّها ومن أمثلة ذلك ، قول وبرة بن نوفل :

بحكم الله لا حُكم الرجال  
فما من رجعة أخرى الليالي

نقاتل من يُقاتلنا ونرضى  
وفارقنا أبا حسن علياً

## فحکم فی کتاب اللہ عمراً وذاك الأشعري أخوا الضلال (٧١)

يتضح من النص أنّ الشّاعر يرسم صورة للآخر المتمثل في شخص الإمام علي بن أبي طالب ( عليه السّلام ) ، صورة تهكمية ، يسمه بالضلال هو وأصحابه والذين فارقهم الشّاعر فهم في نظره قد أعرضوا عن حكم كتاب الله لاسيّما الإمام علي وقبل حكم البشر في موضوع لايجوز في نظره أن يحكم فيه الناس وأن أصحابه اتبعوه على أسماء الرجال وليس لهم من الايمان شيء .

أما الشّاعر ابن أبي مياس المرادي ، وهو من بني مراد الذين يعود إليهم قاتل الإمام علي ( عليه السّلام ) فقد تمادى في بناء صورته وتمثل الآخر بصورة الملك الذي قد هُدّ عرشه الذي انماز بالطغيان والتجبر .

نلاحظ على النص صورة الفخر للمنجز الذي قاموا به والذي يمثل رؤيتهم الآخر وتصفيته الدموية ، يقول :

ونحن ضربنا يالك الخير حيدرا  
ونحن خللنا ملكه من نظامه  
أبا حسن مأمومةً فتفطرا  
بضربة سيف إذ علا وتجبرا (٧٢)

إنّ صورة الهجاء للآخر قد هيمنت عليها رؤيتهم العقائدية واتجاهاتهم المذهبية ، وقد أشرنا إلى محدودية غرض الهجاء عندهم ولا يمكن أن يُعدّ اتجاهاً ظاهراً في شعرهم في صورته المألوفة في الشعر العربيّ لأنهم قد ابتعدوا عن البذاءة في الكلام وصور الفحش التي فيها الهجاء العربيّ في ذاكرة الثقافة العربيّة ، إلاّ أنّه على قلته يظل صورة واضحة المعالم للرؤية الثقافية في النظر للآخر ومحاولة في الوقت نفسه لتثبيت رؤيتهم السياسية التي عملوا عليها طوال صراعهم مع مناوئتهم ممن خالفوهم في الرأي والاجتهاد والمعتقد فكان أن رموا كلّ من لايتفق معهم في الرؤية لاسيّما فيما يتعلق بقضية التحكيم وما آلت إليه بأن من سار على هذا النهج إنّما هو الضلال بعينه فوسم الآخر المسلم بالضلال والكفر على الرغم من وضوح الحق على وفق رواياتهم (٧٣). وهذا ما جسده إحدى الخارجيات في قولها :

مُرُوا بنا نرجع إلى ديننا  
فكلّ دين غيره باطل (٧٤)

وقد عايشنا في أدبهم صورة الآخر التي أسهمت بشكل أو بآخر في رسم صورة سلبية للمسلم الذي كان لا يؤمن برؤيتهم ، كانت القيم الهجائية التي وصم الخوارج بها أعداءهم محاولة منهم لإخراجهم من نسق المجتمع الإسلامي الذي يعد الايمان بالله دينه في الحياة لاسيّما والأمر في أوله ، فالايمن بالله بعد قيمة عليا بالنسبة للمسلمين لهذا كان هجاء الخوارج لهم في تجريدهم من ايمنهم أشدّ وقعا على نفوسهم لما يحمل من دلالات يؤكد ما ذهبنا إليه قول أحد فرسانهم :

أضرب قوماً حبطت أعمالهم  
الله مؤلانا ولا مؤلى لهم (٧٥)

لاشك في أنّ الصراع السياسي الذي احتدم بين الإمام علي ( عليه السّلام ) والخوارج لاسيّما بعد التحكيم ، أسهم في أن تأخذ القطيعة مداها بينهما ، فجاء ديوان الخوارج الشّعريّ ليعبر في رسم صورة سلبية عن الآخر ( الإمام علي بن أبي طالب ) ( عليه السّلام ) وأشياعه وقد لاحظنا مدى مكابدات الشّاعر الخارجي في بناء صورته التي آمن بها في توصيف الآخر ، لقد استسلم الشّاعر الخارجي لتلك

الصورة السلبية التي تبناها اعتقاداً فبنى صورة الآخر على وفق ذلك إرضاءً لنفسه وممن يؤمن برؤيته من هنا الحق بمريديه من الخوارج ويعدهم مثله الأعلى وقد سلط عليها كلّ جهده في الوقت نفسه نراه يجرد المسلم الآخر من كلّ ما ادعاه الخوارج .

## الخاتمة

- ١- حمل الخوارج صورة خاطئة عن الآخر تتصف بالامتهان وتصل حد التصفية ، جراء اختلاف الثقافات وصعوبة فهم الآخر .
- ٢- يتضح من خلال نصوصهم عمق الصراع الثقافي بين الرؤي المخالفة الاتجاه حاداً وصلت فيه إلى الاحتراب بالسيف فكان النص الخارجي ديدن البحث في الوقوف على تلك الرؤي لاستبانة صورة الآخر في ثقافتهم التي هي جزء من الثقافة العربيّة القديمة ولكن على وفق رؤية عصرية .
- ٣- قدم الخوارج شعراً فيما ينماز برؤية ضيقة للآخر متأثرة برؤيتهم السياسية وصراعهم من أجل الوصول إلى دفة الحكم وقد مدهم المعتقد فجاء شعرهم صورة للتعصب وضيق الأفق .
- ٤- أسهم الصراع السياسي بعد التحكيم في أن تأخذ القطيعة مداها بين الإمام علي والخوارج ، فجاء ديوان الخوارج الشعريّ ليعبر في رسم صورة سلبية عن الآخر وقد لاحظنا مدى مكابدات الشاعر الخارجي في بناء صورته التي آمن بها في توصيف الآخر ، لقد استسلم الشاعر الخارجي لتلك الصورة السلبية التي تبناها اعتقاداً فبنى صورة الآخر على وفق ذلك إرضاءً لنفسه وممن يؤمن برؤيته من هنا الحق بمريديه من الخوارج ويعدهم مثله الأعلى وقد سلط عليها كلّ جهده في الوقت نفسه نراه يجرد المسلم الآخر من كلّ ما ادعاه الخوارج .
- ٥- لم نلمح صورة ايجابية في شعر الخوارج اتجاه أعدائهم ، بل تمثلت أغلب صورهم
- ٦- إنّ تعظيم التراث الرافض للآخر والسير حثيثاً وراءه ، يمثل مرتكزاً سيئاً لفهم تطوّر الحياة ، وظلم التراث نفسه في آن واحد
- ٧- سرّت في أوصال الخارجي عصبية ، وان غُطيت بمظاهر الانتماء العقدي والصراخ من أجله ، لكنها تجلت سافرة مأخوذة بمآرب الحكم ونيله أسوة بالآخرين من طلاب الحكم والجاه والمال العريض
- ٨- صور الخوارج الآخر على أنه ناكث لإسلاميته غير ملتزم بها ودليلهم على تمسكهم بفكرهم الإسلاميّ الذي يرونه من زاويتهم الضيقة أو بسبب جهلهم لأبعاد النص القرآني.
- ٩- نلاحظ من نصوصهم شدة إلحاحهم على الافتراق عن الآخر ومحاربتة وتكفيره فلم يلجئوا إلى طرق أخرى من المهادنة وظلّوا مصرين على ما يرون من أنّهم يمثلون النقاء الإسلاميّ ، وأنّ الآخرين عيال عليه ، ظل الآخر في نظرهم صنواً للاختلاف والعداوة .

- ١ - كاظم ، نادر : " تمثيلات الآخر ، صورة السّود في المتخيل العربي الوسيط " ، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٤م ، ١١٤ .
- ٢ - معروف ، نايف محمود : " الخوارج في العصر الأموي " ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٧م ، ٢٤٦ .
- ٣ - القط ، عبد القادر : " في الشّعر الإسلامي والأموي " ، دار النهضة العربيّة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧م ، ٣٧٦ .
- ٤ - صفين : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي ، كانت به الموقعة المشهورة بين الإمام علي (عليه السّلام) ومعاوية (ياقوت : معجم البلدان )
- ٥ - ضئضئ هذا : أي من جنس هذا
- ٦ - " يقال مرق السّهم من الرميّة ؛ إذا نفذ منها ، وأكثر ما يكون ذلك ألا يعلق به من دمها شيء " .
- ٧ - النصل : حديدة السّهم والسيف .
- ٨ - النضى : على فعيل ، القدح بكسر فسكون ، وهو السّهم قبل أن ينصل ويريش .
- ٩ - القذذ جمع قذة ، وهي ريش السّهم .
- ١٠ - الضمير عائد على السّهم ، والكلام على التشبيه والاستعارة التمثيلية ؛ ضربه صلى الله عليه وسلم مثلاً لخروجهم من الدين ، لم يعلق بقلوبهم منه شيء .
- ١١ - ابن أبي الحديد ، عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله مدائني: " شرح نهج البلاغة " ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار في اللغة والأدب " ، تح عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩م ، ٣ / ١٩٠ . الكتاب العربي ، بغداد ، العراق ، ٢٠٠٥م ، ٢ / ٢١٠-٢١١ . وينظر المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد " الكامل
- ١٢ - المصدر نفسه : ٢ / ٢٠٧ .
- ١٣ - سورة الحجرات ، الآية (١٣)
- ١٤ - الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد : ٤٤ / ٣ ، وينظر شرح نهج البلاغة ، لابن أبي حديد : ١٧٣ / ٢ ، للغرض نفسه .
- ١٥ - المصدر نفسه : ٢٨ / ٣
- ١٦ - اراكون ، محمد : " الفكر الأصولي واستحالة التّأصيل " ترجمة وتعليق هاشم صالح ، دار السّاقى ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٢م ، ٧٩ .
- ١٧ - عبد الله بن وهب الراسبي ، أول من أمره الخوارج عليهم أول ما اعتزلوا . بايعوه سنة ٣٧هـ . ينظر البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد: " الفرق بين الفرق " دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ٢٠٠٩م ، ٥١ .

١٨ — حروراء : قرية بظاهر الكوفة أو موضع على ميلين منها . معجم البلدان : ج ٢ / ٢٤٥

١٩ — ديوان الخوارج : ١٠٦

٢٠ — عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، أبو العباس ( ٣ ق هـ — ٦٨ هـ ) : حبر الأمة ، الصحابي الجليل ، ولد بمكة ونشأ في بدء عصر النبوة ، فلازم رسول الله (ص) وروى عنه الأحاديث الصحيحة ، وشهد مع علي الجمل وصفين ، وكف بصره في آخر عمره ، فسكن الطائف ، وتوفي بها . ينظر الزركلي ، خير الدين : " الإعلام " ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط ١٧ ، ٢٠٠٧ م ، ٤ / ٩٥ .

٢١ — الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد : ٢٤ / ٣

٢٢ — سورة الزخرف ، الآية (٥٨)

٢٣ — ابن مزاحم ، نصر المنقري : " ، وقعة صفين " تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، مصر ، ٥٠٠ ، واليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر : " تاريخ اليعقوبي " ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٠ م ، ١٨٩ / ٢

٢٤ — ديوان الخوارج : ٩١

٢٥ — ينظر الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير : " تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك " ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط ٦ ، ٢٠٠٦ م ، ٥ / ٦٢٠ .

٢٦ — ينظر القاضي ، النعمان : " الفرق الإسلامية في الشعر الأموي " ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٠ م ، ٤٥١ .

٢٧ — ديوان الخوارج : ١٢١

٢٨ — عبد الله ابن الزبير بن العوام القرشي الأسدي ، أبو بكر ، أول مولود في المدينة بعد الهجرة ، شهد فتح إفريقية زمن عثمان ، وبويع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ ، عقيب موت يزيد بن معاوية ، قتل في مكة . ينظر الأعلام ، للزركلي : ٤ / ٨٧

٢٩ — ابن همام من رهط الفرزدق ، ينظر " الكامل في اللغة والأدب " للمبرد

١٠٠ / ٣ ،

٣٠ — المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

٣١ — شرح نهج البلاغة ، لابن أبي حديد : ١٨٨ / ٢ .

٣٢ — فروة بن نوفل من بني أشجع ، من قدامى الخوارج ، وهو ممن اعتزل موقعة النهروان ، وحارب أهل الكوفة أيام معاوية ثم انقطعت أخباره ، شعر الخوارج : ٦ ، وينظر فلهوزن ، يوليوس " الخوارج والشيعة " ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط ٢ ، ١٩٧٦ م ، ٣٤ ، للغرض نفسه

٣٣ — شعر الخوارج : ٦ .

٣٤ — ينظر ابن مزاحم ، نصر المنقري : " وقعة صفين " ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، مصر ، ٥١٧ .

٣٥ — شرح نهج البلاغة ، لابن أبي حديد : ٢٢٠ / ٢ .

- ٣٦ — سورة النحل الآية (٩١).
- ٣٧ — الفرق بين الفرق ، للبغدادي : ٧٧ ، وشعر الخوارج : ٦٨ ، أبو المصنك الطائي : خرج وجعل ابنة له في عهدة أحد أصحابه ثم رآه سيف ابن هاني وعليه أطمار فقبض عليه وقدمه للقتل فقال : لا حكم إلا لله ، ينظر شعر الخوارج : ١٤٣
- ٣٨ — الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد ، ٤٨/٣
- ٣٩ — سورة الحجرات ، الآية (١٠)
- ٤٠ — عباس ، احسان : " شعر الخوارج " ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان : ٥٠ ، وسميره رجل من بني شيبان من أصحاب قطري ، كان عالماً بأيام العرب وأخبارها ، ولذا اتخذه الحجاج سميراً له . وابن قيس : هو أبو موسى الأشعري .
- ٤١ — شعر الخوارج : ٤٠ ، وينظر الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين : " الأغاني " ، دار صادر ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٤ م .
- ٤٢ — سورة الحجرات ، الآية (١٣) .
- ٤٣ — أبو سماك ( أبودلان ) عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي من بني ذهل بن ثعلبة ، من بكر بن وائل ، رأس القعدة من الخوارج الصفريّة ، بعد أبي بلال بن أديّة ، وخطيبهم ، ومفتيهم ، وشاعرهم ، أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم ، ثم لحق بالشرارة فطلبه الحجاج فهرب إلى الشام ، ثم طلبه عبد الملك ففر إلى عمان ، ولما طال عمره قعد عن الحرب واكتفى بالتحريض ، وله مسائل كثيرة من أبواب العلم في القرآن والسنن والآثار وغيرها . توفي سنة ٨٤ هـ ، وقيل ٨٩ هـ ، ينظر البغدادي ، عبد القاهر بن عمر : " خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب " ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط ٢ ، ١٩٨٨ م ، ٣٥٠/٥ ، و العلوي ، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي : " وأمالي المرتضى " ، تحقيق محمد فضل الله ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥ م ، ١ / ٥٩٤ ، والأغاني ، للأصفهاني : ١٦ / ١٤٦ ، وشعر الخوارج : ٢٦
- ٤٤ — ينظر ، ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا : " الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية " ، عن كتاب الخوارج في العصر الأموي ، نايف محمود معروف ، ٨٨ .
- ٤٥ — ينظر شرح نهج البلاغة ، لابن أبي حديد : ١٦٤/٢ وما يليها
- ٤٦ — شعر الخوارج : ٢٦
- ٤٧ — المازنداري ، : " مناقب آل طالب " ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، العراق ، ١٣٧٦ هـ ، ٣٧١ / ٢
- ٤٨ — المصدر نفسه .
- ٤٩ — الأندلسي ، ابن عبد ربه : " العقد الفريد " ، حققه وشرحه وعرف أعلامه ، محمد التونجي ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٦ م ، ٣٣٩/٢ ، شرح نهج البلاغة ، لابن أبي حديد : ١ / ٤٤٨ ، شعر الخوارج : ١٠
- ٥٠ — تاريخ الرسل والملوك ، للطبري : ٨٧/٦

- ٥١ — ينظر إحسان عباس : شعر الخوارج : ٢٦ ، وينظر الهادي: صلاح الدين  
:- اتجاهات الشعر في العصر الأموي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٦م ، ١٧٢ .
- ٥٢ — شرح نهج البلاغة ، لابن أبي حديد : ١ / ٤٦١ ، شعر الخوارج : ٨٥
- ٥٣ — شعر الخوارج : ٨٩ ، والأغاني للأصفهاني : ١٢٠ / ٢٠
- ٥٤ — شعر الخوارج : ٨٥ ، والأغاني للأصفهاني : ١١١ / ٢٠
- ٥٥ — سورة الحجرات ، الآية ( ١٣ ) .
- ٥٦ — ينظر الكامل في اللغة والأدب، للمبرد : ٤٨ / ٣
- ٥٧ — العقد الفريد ، لابن عبد ربه : ١٣٨ / ٤ ، الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن  
بحر : " البيان والتبيين " ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ،  
القاهرة ، مصر ، ط ٤ ، ١٩٧٥م ، ١٢٢ / ٢ ، الأغاني ، للأصفهاني : ١٠٦ / ٢٠
- ٥٨ — شرح نهج البلاغة ، لابن أبي حديد : ١٨٩ / ٢ .
- ٥٩ — المصدر نفسه ، الصفحة نفسه
- ٦٠ — شعر ديوان الخوارج ق / ٩٧ ، وينظر شرح نهج البلاغة ، لابن أبي حديد :  
١٨٨ / ٢
- ٦١ — شرح نهج البلاغة ، لابن أبي حديد : ١٣٨ / ٢
- ٦٢ — المصدر نفسه : ٧٨ / ٥
- ٦٣ — ينظر المصدر نفسه : ٩٨ / ٤ وما يليها
- ٦٤ — العقد الفريد ، أحمد بن محمد ، ابن عبد ربه : ٨٠ / ١ وما يليها
- ٦٥ — إحسان عباس ، " شعر الخوارج " : ٢٠
- ٦٦ — المصدر نفسه : ٣٢
- ٦٧ — أَقْتُلُهُمْ وَلَا أَرَى عَالِيًا      ولو بَدَأَ أَوْجَرَ تَهُ الْخَطِيئًا :
- (أَوْجَرَ تَهُ الْخَطِيئًا ) : طعنته بالرمح في فيه وأصله من الوجر كالوعد وهو أن تدخل  
ماء أو دواء في حلق الصبي ، وقال الليث : أوجرت فلاناً بالرمح إذا طعنته في  
صدره ولا يقال وجره بالرمح ) ، ينظر الكامل في اللغة والأدب، للمبرد : ٢٩ / ٣
- ٦٨ — إحسان عباس : شعر الخوارج : ٢٦
- ٦٩ — جعفر ، قدامة : " نقد الشعر " ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب  
العلمية ، بيروت ، لبنان ، ( د:ت ) ، ٩٢ .
- ٧٠ — ينظر الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد : ٣٧ / ٣
- ٧١ — شعر الخوارج ٦ : انظر الخوارج والشيعة . ٤٣ ، للغرض نفسه .
- ٧٢ — شعر الخوارج ٧ ، شرح نهج البلاغة ، لابن أبي حديد ٤٤ / ٢ . ولم أعثر  
على خبر لهذا الشاعر ، حيدر : لقب لعلي بن أبي طالب ( عليه السلام ) .
- ٧٣ — ينظر الخوارج في العصر الأموي : ٢٧٨
- ٧٤ — إحسان عباس ، شعر الخوارج : ١١٢
- ٧٥ — المصدر نفسه : ١١٦

## المصادر والمراجع

- أولاً : القرآن الكريم  
ثانياً : المصادر والمراجع
- ١— ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني : ( الكامل في التاريخ ) ، دار صادر ، بيروت لبنان ، ط ٨ ، ٢٠٠٨ م .
  - ٢— اراكون ، محمد : " الفكر الأصولي واستحالة التأصيل " ترجمة وتعليق هاشم صالح ، دار السّاقى ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٢ م .
  - ٣— الأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل : "مقالات الإسلاميين" ، النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، ١٩٥٠ م .
  - ٤— الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين : " الأغاني " ، دار صادر ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٤ م .
  - ٥— الأندلسي ، ابن عبد ربه : " العقد الفريد " ، حققه وشرحه وعرف أعلامه ، محمد التونجي ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٦ م .
  - ٦— البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد: " الفرق بين الفرق " دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٤ ، ٢٠٠٩ م .
  - ٧— البغدادي ، عبد القاهر بن عمر : " خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب " ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط ٢ ، ١٩٨٨ م .
  - ٨ — الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : " البيان والتبيين " ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط ٤ ، ١٩٧٥ م .
  - ٩— جعفر ، قدامة : "نقد الشعر " ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د:ت) .
  - ١٠— ابن أبي الحديد ، عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله مدائني: " شرح نهج البلاغة " ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربي ، بغداد ، العراق ، ٢٠٠٥ م .
  - ١١— الزركلي ، خير الدين : " الإعلام " ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط ١٧ ، ٢٠٠٧ م .
  - ١٢— الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير : " تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك " ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط ٦ ، ٢٠٠٦ م .
  - ١٣— عباس ، إحسان : " شعر الخوارج " ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .
  - ١٤— العلوي ، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي : " أمالي المرتضى " ، تحقيق محمد فضل الله ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥ م .
  - ١٥— فلهوزن ، يوليوس " الخوارج والشيعة " ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط ٢ ، ١٩٧٦ م .

- ١٦ — القاضي ، النعمان : " الفرق الإسلامية في الشعر الأموي " ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٠م .
- ١٧ — القط ، عبد القادر : " في الشعر الإسلامي والأموي " ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧م ، ٣٧٦ .
- ١٨ — كاظم ، نادر : " تمثيلات الآخر ، صورة السّود في المتخيل العربي الوسيط " ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٤م .
- ١٩ — المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد " الكامل في اللغة والأدب " ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩م .
- ٢٠ — ابن مزاحم ، نصر المنقري : " ، وقعة صفين " تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، مصر .
- ٢١ — معروف ، نايف محمود : " الخوارج في العصر الأموي " ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان .
- ٢٢ — الهادي : صلاح الدين - اتجاهات الشعر في العصر الأموي ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مصر ، ١٩٨٦م .
- ٢٣ — اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر : " تاريخ اليعقوبي " ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٠م